

هدية المقوقس للنبي ﷺ

قال الواقدي : كانت هدية المقوقس ألف مثقال من الذهب، وجارتين وهما مارية وشيرين^(١) أختها .

وجارية أخرى يقال لها حسنة، و غلام خصى يقال له نابور، وبغلة يقال لها الدلدل ، و حمار يقال له عفير . وقيل يعفور، وكسوة من بياضات مصر، وعسل نحل من عسل بنها .

فلما وصلت الهدية إلى رسول الله ﷺ قبلها ونظر إلى مارية وأختها شيرين فأعجبته ، وكره الجمع بينهما .

ثم عرض الإسلام عليهما ، فأسلمت مارية قبل شيرين فاختار النبي ﷺ مارية على شيرين ، وتسرى بها فجاءه منها إبراهيم، فعاش ثمانية عشر شهراً ومات . فقال رسول الله ﷺ : " لو بقى إبراهيم ما تركت قبطياً إلا وضعت عنه الجزية"^(٢) .

وعاشت مارية إلى سنة خمس عشرة من الهجرة . وماتت بالمدينة^(٣) .

1- بروي أن اسمها سيرين ، وذكر صاحب السيرة الحلبية أن الجارية الأخرى اسمها قيسر . (السيرة الحلبية 297/3) .

2- روى عن ابن عباس قال : لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال : " إن له مرضعاً في الجنة ، ولو عاش لكان صديقاً نبياً ، ولو عاش لعتقت أحواله القبط وما استرق قبطي " . (سنن ابن ماجه 484/1) .

3- مارية القبطية : توفيت في المحرم سنة ست عشرة من الهجرة ، صلى عليها عمر رضي الله عنه ، ويبرها بالبيع . (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ص ص 252-253) .

..... إطلالة نور على بطائح الزمور

أما شيرين وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت ، فهي أم ولده عبد الرحمن ، وقيل بل وهبها لمحمد بن مسلمة الأنصاري ، وأما حسنة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العبدي^(١).

وأما نابور فإنه كان قرابة لمارية ، وكان كثيراً ما يدخل عليها ، فوقع في نفس النبي ﷺ منه شيء ، فرجع فلقية عمر بن الخطاب فأخبره بذلك ، فأخذ عمر السيف ودخل على مارية فأهوى ليضرب نابور به ، فكشف عن ثيابه فإذا هو خصى ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك ، فطابت نفسه^(٢).

وأما البغلة والحمار فكانا أحب دوابه إليه ، وأما العسل أكل منه فاستطيبه فسأل " من أين هذا العسل ؟ "

ف قيل له : " من قرية من قرى مصر يقال لها بنها . "

فقال : " بارك الله في بنها وفي عسلها . "

وأما الثياب البيض فإن بقي عنده منهم بقية ، حتى إنه كفن ﷺ في بعضها .

قال الواقدي : إن المقوقس بعث رسوله مع الهدية حتى نظر إلى خاتم النبوة

بين كتفي رسول الله ﷺ وأخبر المقوقس بذلك .

1- ورد أنه ﷺ أدى إحدى الجارين لأبي جهم بن قيس العبدي ، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ، وأخرى أهداها لحسان بن ثابت. (السيرة الحلبية ٢٩٧/٣).

2- أورد ابن كثير في (البيداء والنهاية ٢٦٧/٤) أن الذي دخل على نابور هو علي بن أبي طالب . ونكر الأصبهاني أنه علي بن أبي طالب . ، وذلك من رواية ابن إسحاق ، وقال الأصبهاني هذا غريب ، لا يعرف مسنداً بهذا السياق إلا من حديث محمد بن إسحاق. (حلية الأولياء ١٧٧٣ - ١٧٨).

وأورد محب النبي الطبري " ت ٦٩٤ هـ " في رواية عن الزهري عن أنس بن مالك : كتبت أم إبراهيم سرية النبي ﷺ في مشربتها ، وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب ، فقال الناس في ذلك : علج يدخل على علجة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل علي بن أبي طالب . ، فوجده على نخلة ، فلما أخذ السيف وقع في نضه فألقي الكساء الذي كان عليه وتكشفت ، فإذا هو محبوب . ، فرجع علي ﷺ إلى النبي ﷺ فأخبره. (السمط الثمين في مناقب أسهات المؤمنين ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

* محبوب : أي مقطوع الذكر . (لسان العرب ٢٤٩/١).

ونكر صاحب السيرة الحلبية أن الغلام اسمه " نابور " ابن عم مارية. (السيرة الحلبية ٢٩٧/٣).

في حين أن ابن عباس ينقل رواية أخرى ويدكر أنه عمر بن الخطاب... !!

الفءء الإسلامى لمصر *

قال ابن عبد الحكم : لما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة ، وفتح أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب ؓ مدينة دمشق ، قام إليه عمرو بن العاص وقال له : " يا أمير المؤمنين أءان لي أن أسير إلى مصر؟".

قال عمر : " إن فءءتها كانت قوة للمسلمين ".

فلم يزل عمرو يهون فءءها عند أمير المؤمنين عمر ، حتى عقء له على أربعة آلاف رجل أو ءون ذلك.

ثم قال لعمر بن العاص : " سر وأنا مستخير الله فى أمرك ".

فسار عمرو فى جوف الليل ولم يشعربه أحد من الناس ، فسار حتى نزل بين رفح والعريش ، فلما نزل بها أءرج كتاب أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب وقرأه على المسلمين وقال لهم : " ألسءم تعلمون أن هذه القرية من قرى مصر؟".
قالوا : " بلى ".

* - كانت مصر حين ظهور العرب على مسرح التاريخ طعمة للفراة الفءءين منذ فرون كثيرة ، ءء لستولى الإسكندر عليها فى سنة ٣٣٢ ق . م ، وطرد الفرس منها وأقام مدينة الإسكندرية فيها ، لم ناءى أحد فولاه بطليموس سوتر بنفسه ملكا عليها فى سنة ٣٠٤ ق . م ، وملكء أسرة البطالمة مصر مدة ٢٧٤ سنة ، وكان آءر من تولوا أمور مصر من ءلك الأسرة الملكة كليوباترة الشهيرة ، ولما هزم أءتاليموس كليوباترة وأنطونيوس فى معركة أءسيوم " أءتيوم " فى سنة ٣٠ ق . م ، أصبحت مصر ولاية رومانية ، ولما ءصمء الءولة الرومانية على أءر وفاة ثيودوز فى سنة ٣٩٥ م كانت مصر من نصيب ءولة الشرق الرومانية ، وظلء مصر تابعة لهذه الءولة حتى سنة ٦٤٠ م ، أى السنة الءى فءءها العرب فيها " (حضارة العرب ص ٢٠٥) .

..... إطفاء نور على بطائع الرصور

قال : " فإن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر بأن أرجع . وقد خاف على المسلمين، وإن لحقني كتابه حتى أدخل مصر فإنني أدخلها ، فامضوا على بركة الله تعالى ، فسار عمرو حتى دخل مصر^(١) .

فلما بلغ المقوقس دخول العرب إلى مصر، فأرسل جيشاً إلى عمرو بن العاص فتلاقى مع جيشه على الفرما^(٢) - وهي من قرى مصر- فوقع هناك قتال شديد ، وهو أول قتال وقع في قرى مصر .

ثم إن عمرو أقام يحاصر أهل الفرما نحو شهر ، ففتح الله على يده الفرما ، وهي أول قرية فتحت على يد عمرو بن العاص^(٣) .

فقال المقوقس : " ألا تعجبون من هؤلاء العرب يقدمون على جيوش الروم مع كثرتهم وهم في قلة من الناس ؟ "

فأجابه بعض القبط وقال : " إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى جيش إلا استظهروا عليه وغلبوه " .

1- هناك روايات عديدة في هذا الشأن ، ويقال أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص بعدما فتح الشام أن انذب الناس إلى المسيير معك إلى مصر ، فمن خف معك فسر به ، وبعث به مع شريك بن عبيدة ، فقتلهم عمرو فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو . (الخطط المعريزية ٢٨٩/٢) .

2- الفرما : هي قرية أم إسماعيل بن إبراهيم ، وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم ، بنى بها المتوكل على الله حصناً على البحر ، تولى بناءه عبيدة بن إسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عندما بنى حصن نسيط وحصن تيس وأنفق فيها مالا عظيماً ، ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرتلية ، وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم . قال اليعقوبي الفرما أول مدن مصر من جهة الشمال . (المرجع السابق ٢١١/١) .

قال الإصطخري : " الفرما على شط البحيرة ، وهي مدينة صغيرة خصبة ، وبها قبر جالينوس اليوناني ، ومن الفرما إلى تيس نحو فرسخين في البحيرة " بحيرة تيس : المنزلة " . (المسالك والممالك ص ٤٢) .

3 - " فلما ملك العرب الفرما صار في أيديهم معقلاً يؤمن لهم الطرق المؤدية إلى بلادهم ، ويضمن لهم سبيل الرجوع إذا برزت بهم هزيمة ، وقد قطنوا بعد فتح الفرما إلى ما هم مقبلون عليه من الأمر الخطير إذا أتيتهم فتح حصن بابليون والإسكندرية العظيمة . (فتح العرب لمصر ص ١٨٧) .

ثم إن عمرو وصل إلى بلبيس^(١) فتقاتل مع أهلها نحو شهر فغلبهم وملكها ، ثم إن عمرو أرسل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بالعساكر فأمده بأربعة آلاف أخرى ، فبقى معه ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه من العساكر حتى نزل على الحصن ، وهو مكان قصر الشمع^(٢) فصار من بالمدينة قائماً بحصارهم مدة طويلة ، فلما أبطأ خبر الفتح على أمير المؤمنين عمر فأمد عمرو بأربعة آلاف أخرى^(٣) وفيهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد رضي الله عنهم^(٤) فنصب عمرو بن العاص منجنيقاً ورمى به على أهل الحصن.

وكان في الحصن علاج^(٥) من علوج الروم ، يقال له الأعرج ، فقال لمن حوله :

إذا مر عليكم عمرو أمير القوم فألقوا عليه صخرة فتقتله ، فمر عليهم عمرو ، فحالوا

1- تقدم ذكرها في " أعمال الديار المصرية وكرورها " ص ٣٠ .

2- تقدم ذكره في " دولة الأقباط بمصر " ص ٤٥ .

3- فأصبح عند جند المسلمين اثنا عشر ألفاً .

4- من أصحاب النبي ﷺ :

أ- الزبير بن العوام : ذكره الذهبي فيمن توفي في سنة ست وثلاثين : وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صبية وأحد الشجرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السنة أهل الثورى شهد بدرًا والمشاهد كلها ، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، وهو أول من سئل سبيله في سبيل الله (تاريخ الإسلام ١٩٧/٢) .

ب- المقداد بن الأسود : توفي سنة ثلاث وثلاثين " كان من السابقين الأولين شهد بدرًا ، وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : " أمرني الله بحب أربعة : علي وأبي تر وسلمان والمقداد " رواه أحمد في مسنده ، قيل : إنه مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة ودفن بالبقيع . (المرجع السابق ١٦٤/٢) .

قال ابن الجوزى : " توفي المقداد ابن سبعين " (أعمار الأعيان ص ٤٧) .
ج- عبادة بن الصامت : توفي سنة أربع وثلاثين ، " أحد النقباء ليلة العجة ، شهد بدرًا والمشاهد ، وولى قضاء فلسطين وسكن الشام . (تاريخ الإسلام ١٦٥/٢) .

د- مسلمة بن مخلد : توفي سنة اثنين وستين . " ولد عام الهجرة ، رجع من رسول الله ﷺ ، وشهد فتح مصر ، وولى الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذى القعدة من هذه السنة " . (البداية والنهاية ٢٠٥/٨) . تولى مسلمة على مصر ، وذكر المقرئى أن ولايته كتبت خمس عشرة سنة وأربعة أشهر " . (الخطط المقرئية ٢٠١ / ٢) .

٥- الطنج : حمار الوحش السمين ، والرجل من كفار العمم ، والجمع علوج وأعلاج . (القاموس المحيط ٢٠٠/١) .
وأورد ابن عنت الحكم اسمه بالأعرج ، وكان قد تحلف في الحصن بعد الموقص . وجاء في هامش نسخة أ : الأعرج يقال له المنصور النطى ، كل يدير مصر من قبل الموقص ، وهو جورج قائد حرس الحصن ، وقد بقي في الحصن حتى يتسى على ما يشاع من خروج قيرس (فتوح مصر والمغرب ٩٦ / ١ وهامش ٣ من الصفحة) .

... . إطلاقه نور على بدائع الزمور

بينه وبين أصحابه، فقال لهم عمرو: أنا أصغر من في القوم، ولا يضرهم قتلى إن قتلتموني، فقال الأعرج في نفسه: "وايش يفيد من قتل واحد من جماعة كثيرة؟". فأمر بإطلاقه فخرج إلى أصحابه سالماً، ولم يعلم الأعرج أنه أمير القوم، وكانت هذه الحيلة التي دبرها عمرو أول المكائد منه.

ثم إن الزبير بن العوام رضي الله عنه وضع سلماً إلى جانب السور من ناحية سوق الحمام وصعد عليه^(١)، وأمر أصحابه إذا سمعوه يكبر فيزحف العسكر جميعاً. فلما صعد الزبير على السلم وكبر والسيوف في يده، فزحف الجيش جميعاً، وكبروا فما شك من بالحصن أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا من وجه العرب، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن وفتحوه^(٢).

فلما بلغ المقوقس ذلك خاف على نفسه من القتل، فتوجه إلى الجزيرة - يعنى الروضة - وأرسل إلى عمرو يسأله في الصلح وأن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رأس، فأرسل عمرو يقول للمقوقس: "ليس بيني وبينك إلا ثلاث خصال: إما تدخل في الإسلام، وإما تعطى الجزية وتكون آمناً على نفسك من القتل، وإما نقاتلنا ونقاتلك".

قال الليث بن سعد . أقام عمرو بن العاص يحاصر الحصن ستة أشهر.

1 - قال ابن عبد الحكم : حدثنا سعيد بن عفير قال : وصعد مع الزبير الحصن محمد بن مسلمة، ومالك بن أبي سلسلة السلامي ، ورجال من بني حرام ، وأن شرحبيل بن حجة المرادي نصب سلماً آخر من ناحية الزمامرة ، فصد عليه ، فكل بين الزبير وبين شرحبيل شيء على باب أو منخل ". (فتوح مصر والمغرب ١ / ٩٥) .
2- ذكر المقرئ في فتح الحصن " أن المسلمين لما حاصروا باب إليون كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورسائهم وعليهم المقوقس فقاتلهم شهراً، فلما رأى القوم الجد من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورجعتهم فيه ، خافوا أن يظهروا عليهم ، ففتح المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبطي ودونهم جماعة يقتلون العرب للحقوا بالجزيرة ، وأمروا بقطع الجسر وتلك في جرى النيل". (الخطط المقرئية ٢/ ٢٩٠).

..... إطللة نور على بحانج الزبور

فلما جاءت رسل عمرو إلى المقوقس بهذا الجواب قال لمن حوله من القبط :
" كيف رأيتم في هذا الأمر " ؟ .

قالوا : " إن هؤلاء القوم لا طاقة لنا بهم ، فإن الموت أحب إلى أحدهم من
الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، وليس لأحدهم في الدنيا رغبة . يجلسون
على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضعهم ،
ولا يعرف السيد من العبد ، فإن لم تغتنموا صلحهم وهم محصورون فلم يجيبونا بعد
ذلك إلى الصلح " .

ثم إن المقوقس أرسل إلى عمرو يقول له : " أرسل إلينا أحداً من عقلائكم حتى
نتكلم معه ما يكون فيه أمر الصلح بيننا وبينكم " .

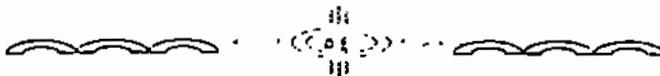
وكان المقوقس في الجزيرة وهي الروضة ، وكان بها قصر مطل على البحر
يسمى الهودج تنزهه فيه ملوك مصر من القبط .

فبعث إليه عمرو بن العاص عشرة من الصحابة ، وكبيرهم عبادة بن
الصامت به ، وكان أسود اللون ، وقيل المقداد بن الأسود^(١) .

فلما دخلوا على المقوقس استصغر قدر عبادة بن الصامت لسواده فقال
المقوقس : " نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى " فقالوا : " هذا الأسود
أفضلنا وهو سيدنا " .

فقال المقوقس لعبادة : " تقدم يا أسود وكلمنى برفق ، فإنى أهاب سوادك "

1- قال ابن عبد الحكم : " بعث عمرو بن العاص عشرة نفر ، أحدهم عبادة بن الصامت ، وأمره عمرو أن يكون متكلم
القوم " (تروح مصر والمغرب / ١ - ٩٧ - ٩٨) .



..... إطلالة نور على بدائع الزهور

فتقدم عبادة إليه وقال : " قد بعثنا الأمير عمرو على إحدى الثلاث خصال
المقدم ذكرها ولا تم لها وجه رابع " (١).

فقال المقوقس : " إن عساكر الروم ما لا يحصى عددهم ، وأنا أخشى أن يقع
بينكم القتال فيقتلونكم عن آخركم ، وقد طبابت أنفسنا أن نصالحكم صوتاً لنا ولكم
من القتل ، على أن نفترض أن يكون لكم على كل رأس من القبط ديناران ولأميركم
مائة دينار ، ولخليفتم ألف دينار فتقبضونها ، وترحلوا عنا إلى بلادكم قبل أن
تحاط بكم عساكر الروم " .

فقال له عبادة بن الصامت : " يا هذا أما تخويفك لنا بعساكر الروم من القتال
فنحن أرغب ما يكون في قتالهم ، فإن ظفرنا بكم فله الحمد ، وإن ظفرتم بنا فنحن
أشوق إلى لقاء الله تعالى والمسير إلى الجنة ، وأما ما ذكرته من المال فنحن قوم لا
نبالي بالمال إن كثروا إن قل " .

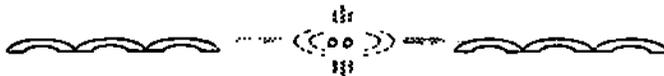
فقال المقوقس : " أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟ " .

فقال عبادة : " لا ورب السماء والأرض ، فاختاروا لأنفسكم منهم خصلة " .
فالتفت المقوقس لمن حوله من الأقباط وقال لهم : " قد فرغ القول منهم فماذا ترون
في ذلك " ؟ .

فقالوا : " أما الدخول في دينهم فهذا لا يكون أبداً ، وأما أنهم يسبوننا
ويجعلوننا لهم عبيداً ، فالموت أهون علينا من ذلك " .

فقال المقوقس لعبادة : " قد أبى القوم من ذلك فما ترى " ؟ .

1- هناك حديث طويل دار بين عبادة بن الصامت و المقوقس أورده ابن عبد الحكم. انظر (فتوح مصر والمغرب
٩٨/١ - ١٠١) .



..... إطلالة نور على بطائع الرصور

فقام عبادة وهم بالانصراف .

فقال المقوقس لن حوله : " أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه

الثلاث . وإن لم تجيبوا إليها وأنتم طائعين فتجيبون إليها وأنتم كارهين " . فقالوا :
" وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ .

قال المقوقس : " أما دخولكم فى دينهم فلا أمركم به . وأما قتالهم فأنا أعلم
أنكم لن تقووا عليه ولا تصبروا صبرهم ، ولكن افعلوا الثالثة " .

قالوا : " أفنكون لهم عبيداً ؟ .

قال : نعم تكونوا عبيداً أنتم وأولادكم إلى أن تموتوا عن آخركم .

فلما رجع عبادة إلى عمرو بن العاص وأخبره ما قاله القبط ، فأمر جيوشه
بالمقاتلة لهم والمحاصرة ، فلما حاصروهم لم يطبقوا القبط ذلك ، وتسحبوا فى السفن
إلى الروضة . وحصنوا برها بالسفن من كل ناحية ، وأحدقوا^(١) بهم المسلمون من
كل جهة^(٢) .

فلما رأى المقوقس ذلك قال للقبط : " ألم أعلمكم بهذه الأحوال قبل وقوعها
فما تروا الآن ؟ "

قالوا : " ندعن للجزية^(٣) ونعقد الصلح بيننا وبينهم " .

1- أحاطوا .

- 2- " لما نزل ابن العاص القصر نشئت الروم ثم اجتمعوا فى كوم شريك ، فصار إليهم وهزمهم ، واقتفى أثرهم حتى
اجتمعوا بالإسكندرية فحاصرها حتى ملكها ٢١ ديسمبر سنة ٦٤١ ميلادية الموافقة ٢١ هجرية ، بعد أربعة عشر
شهوراً من حصارها ، وفر حزب من الروم إلى السفن " . (خلاصة تاريخ العرب ص ٨٠) .
- 3 - الجزية يتم وضعها على الرؤوس ، واسمها مشتق من الجزاء ، ولا تجب الجزية إلا على الرجال الأحرار العقلاء ،
ولا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون . انظر فى ذلك (الأحكام السلطانية ص ١٤٢ - ١٤٤) .
- " وقد وجبت الجزية على أهل الكتاب كما وجبت الزكاة بأنواعها على المسلمين ، حتى يتكافأ الفريقان " . (المنية
العربية الإسلامية ص ٧٥) .

. إطلاقه نور على بحائع الزصور

فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص يقول له : "إني لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إليّ بها ، فأبى ذلك على من حضرني من القبط ، والآن عرفوا نصحي لهم ورجعوا إلى قولي لهم بالنصح ، فأعطني منك أماناً ، اجتمع أنا وأنت فإن استقام الأمر بيننا تم لنا ذلك ، وإن وقع بيننا خلف رجعنا إلى ما كنا عليه ."

فلما سمع عمرو ذلك استشار أصحابه في ذلك فقالوا : " لا تجبه إلى الصلح ولا الجزية ، ونحاربه حتى يفتح الله علينا بالنصر عليهم ."

فقال لهم عمرو : " قد علمتم ما عهد إليّ به أمير المؤمنين بأن أجيب إلى خصلة من هذه الخصال الثلاث ، وقد طال الأمر بيننا وبينهم ."

فعند ذلك اجتمع رأي الصحابة على أن يفرضوا على كل رأس من القبط دينارين ، وليس على الشيخ الفاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا على النساء شئ من الجزية ، وعلى أن للمسلمين عليهم النزول والضيافة حيثما كانوا من القرى مقدار ثلاثة أيام ، فإن أجابوا إلى ذلك عقدنا بيننا وبينهم الصلح .

فأرسل عمرو يقول للمقوقس : " قد وقع الرأي بيننا على أن تزنوا الجزية كما تقرر الحال عليه ."

قال ابن عبد الحكم : " كان عدد القبط يومئذ ثمانية آلاف ألف إنسان غير الروم ."

ثم إن المقوقس قال للروم : " من أحب منكم أن يقيم بأرض مصر فليزن الجزية ، ومن أراد الخروج إلى أرض الروم فليخرج ولا جزية عليه ."

..... إطلالة نور على بدائع الرمور

ثم إن المقوقس كتب كتاباً إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، فكتب إليه ملك الروم :
" قد أتاك من العرب إثنا عشر ألف إنسان ، فعجزت عن قتالهم وبمصر ما لا يحصى
عددهم من الروم فلا سبيل إلى هنا أبداً " .

فأرسل المقوقس يقول لعمر بن العاص : " إن ملك الروم لم يوافق على أمر
الصلح ولا الجزية ، ولم يكن نقض الصلح منى " .

ثم جاءت الأخبار بأن ملك الروم أرسل عسكرياً عظيماً في البر والبحر ، فلما
سمع ذلك عمرو خرج إليهم بمن معه من العربان فتلاقوا بالكربون (١) .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص على مقدمة الجيش ، وحامل اللواء يومئذ
وردان مولى عمرو ، فعند ذلك صلى عمرو صلاة الخوف ، وبرز للقتال وتلقى مع
عساكر الروم هناك (٢) .

فلم تكن إلا ساعة وقد فتح الله تعالى على المسلمين بالنصر على عساكر الروم ،
فقتل في ذلك اليوم من عساكر الروم ما لا يحصى عددهم ، وقتل من الصحابة في
ذلك اليوم إثنا عشر رجلاً .

فلما وقعت الكسرة على عساكر الروم توجهوا إلى ثغر الإسكندرية
وحصونها (٣) ، وكان عليها يومئذ سبعة أسوار فلما تحصنوا الروم بالإسكندرية

1- " الكربون : مدينة كريمة زارها ابن حوقل وذكر عنها في كتابه أنها في أيامه مدينة عظيمة جميلة على ضفتي
ترعة الإسكندرية ، وكان التجار يركبون منها التوارب إلى الفسطاط في وقت الصيف إذا علا النيل ، وكانت مدينة
الكربون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابليون والإسكندرية ، وكان لها شأن عظيم
في تجارة القمح ، وخطر كبير في الحرب إذ كانت تشرف على التريعة التي تعتمد عليها الإسكندرية في طعامها
وشربها . (فتوح مصر والمغرب ١٠٨/١ هامش ٣) .

2 - " فاقبلوا بها بضعة عشر يوماً " . (المرجع السابق ١٠٩ /١) .

3- " دعت العساكر الرومانية إلى الإسكندرية وتحصنت فيها لأنها هي التي بقيت في حكمهم وحدها ، وجميع الجهات
المصرية بحرية وبقية صارت في يد المسلمين " (الحفظ التوثيقية لمدينة الإسكندرية ص ١٤) .

..... إطلالة نور على بحائع الزمور

أرسل هرقل إلى سائر أعماله من البلاد ، يستحثهم في جمع العساكر وسرعة الحضور ، وقصد قتال عمرو وأصحابه ، فلما سمعوا الصحابة بذلك تقلقوا وضاق صدرهم .

ثم بعد أيام قلائل جاءت الأخبار بأن هرقل قد هلك^(١) وكفى الله المؤمنين القتال .

فكان كما قيل في المعنى :

تذكر صنع ريك كيف يأتى بما تهواه من فرج قريب
فلا تياس إذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب

قال الليث بن سعد : مات هرقل سنة عشرين من الهجرة ، وكسر الله تعالى بموته شوكة الروم .

قال ابن لهيعة : إن مصر فتحت قبل فتح الإسكندرية بتسعة أشهر ، وقد اختلف العلماء في فتحها عنوة أو صلحاً .

قال ابن شهاب : فتحت مصر بعضها عنوة ، وبعضها صلحاً .

وقال يزيد بن أبي حبيب : مصر كلها فتحت بالصلح إلا الإسكندرية فإنها فتحت عنوة^(٢) .

1 - مات هرقل في ١١ فبراير ٦٤١ م / ٢٠ هـ ، وبذلك كسرت بموته شوكة الروم ورهن أمرهم فرجع ممن كان قد توجه إلى الإسكندرية ، وبوفاة هرقل تولى أبناء قسطنطين وهرقل الثاني ونصبت الإمبراطورة مارتينا أم ولده هرقل أو هرقلونس شريكة لهما في الحكم ، فعلمت هذه الإمبراطورة على إنهاء الحرب لانشغالها وسفسة الروم بالفتن الداخلية التي قامت من أجل النزاع على العرش . (غارات أوروبا على الشواطئ المصرية ص ٨) .

" ولذا عقد بطريق الإسكندرية معاهدة مع العرب في ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢ م ، انتقلت بمقتضاها إلى أيدي العرب " . (الحضارة العربية ص ٦١) .

2- قال حليفة بن خياط : مصر كلها صلح في قول يزيد بن أبي حبيب غير الإسكندرية ، وهذا القول كان يقول الليث . (تاريخ حليفة بن خياط ص ١٤٤) .

..... إطفالة نور على بطائح الزمور

قال ابن عبد الحكم : لما أبطأ خير الفتح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص كتاباً يقول فيه : " أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن خير الفتح منذ سنتين . وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مصر ستفتح على أيديكم . وما ذاك إلا ما أحدثتم وأحببتم من الدنيا في قلوبكم . وأن الله تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم^(١) ، فإذا أتاك كتابي فأخطب بالناس وحضهم على القتال ، ورغبهم في الصبر وأن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال من يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة ."

فلما أتى كتاب عمر إلى عمرو ، قرأه على المسلمين ، ثم صلى ركعتين وسأل الله تعالى النصر على الأعداء .

وكان عمرو لما أتاه كتاب أمير المؤمنين عمر ، كان على الإسكندرية يحاصرها ، فلما قرأ كتاب أمير المؤمنين توجه إلى القتال ، وكان ذلك في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة ، فبرزوا للقتال كصدمة رجل واحد ، فانتصروا على الروم الذين هناك من عساكر هرقل^(١) .

1 - راد ابن عبد الحكم في روايته عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه : " .. وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمت أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم .. " ثم أكمل نص الكتاب الذي نقله ابن أبي عمير في النص . اطر (فتوح مصر والمغرب ١ / ١١٦) .

أما الأربعة الذين نكروهم ابن عبد الحكم ، فإنه لما أبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جبر فتح الحصن ، أمد عمرو بن العاص بأربعة آلاف رجل ، وقال عمر : إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، حتى كل رجل منهم مقام الألف ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد - وقال آخرون بل خارجة بن خذافة الرابع ، لا يعدون مسلمة . انظر في ذلك (المرجع السابق ١ / ٩١) .

2 - قال ابن عبد الحكم ، يقال : إن عمرو بن العاص استشار معلمة بن مخلد ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن حدثه قال : أشر علي في قتال هؤلاء ، فقال له مسلمة : أرى أن تطر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعد له على الناس ، فيكون هو الذي يبشر القتال ويكنيك ، قال عمرو : ومن ذلك ؟ قال : عبادة بن الصامت ، قال : فدعا عمرو عبادة ، فأتاه وهو راكب على فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو : عزمت عليك إن نزلت ناوئني منن رمحك ، فإوله إياه ، فزرع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم ، وقتلهم ، فتح الله على يديه الإسكندرية من يوم ذلك . (المرجع السابق ١ / ١١٦ - ١١٧) .

..... إطفاء نور على بحانج الرمور

قال ابن لهيعة : استشهد في فتح الإسكندرية برقابن الأسود ، وكان من مشاهير الصحابة^(١).

فلما فتحت الإسكندرية وكانت يومئذ دار المملكة ، هرب الروم الذين كانوا بها ، وتسحبوا في المراكب الكبار ، وحملوا ما قدروا عليه من الأموال ومن الأمتعة ، وتوجهوا إلى نحو بلاد الروم ، وتأخر منهم جماعة بالإسكندرية^(٢).

قال ابن عبد الحكم : أحصى من بقى بالإسكندرية من عساكر الروم غير من تسحب منهم فكانوا نحو ستمائة ألف إنسان غير الصبيان وغير النساء ، فأفرضت عليهم الجزية على كل رأس دينارين ، وكان بها أربعون ألف يهودي فرضت عليهم الجزية.

قال ابن عبد الحكم : لما فتحت مصر والإسكندرية فأرسل عمرو بن العاص يبشر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتوجه بهذه البشارة معاوية بن خديج^(٣) فسار حتى دخل المدينة الشريفة وقت الظهر ، فلما أخبر أمير المؤمنين بذلك ، فنادى بالصلاة جامعة فتسامعت الصحابة بذلك وأتوا أفواجا ، فلما تكاملوا خرج أمير المؤمنين عمر وصلى بهم ركعتين شكراً لله تعالى على ذلك ، ثم صلى بهم صلاة الغيبة

1 - برتا بن الأسود بن عبد شمس القضاعي ، شهد فتح مصر ، وقيل : قتل يوم فتح الإسكندرية ، قاله ابن يونس ، وقال : له صحبة (الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٤٢٣).

2 - " قيل إنه ترحل من الإسكندرية في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي ، وكان حصة من كان بالإسكندرية من الروم ثمانين ألفاً من الرجال ، فلقوا بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ، فسار فيها ثلاثون ألفاً ، حملوا فيها ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل " (المغرب في حلى المغرب ص ٣٧) . وأورد ابن عبد الحكم عن محمد بن سعيد الهاشمي : " ترحل من الإسكندرية ، سبعون ألف يهودي " (فتوح مصر والمغرب ١ / ١٢١) .

3- معاوية بن خديج : توفي سنة اثنين وخمسين قال ابن كثير في ترجمته : " شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الإسكندرية ، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال الربيع ، وذهبت عينه يومئذ وولى حروباً كثيرة في بلاد المغرب ، لم يزل يعصر حتى مات بها في هذه السنة " (البداية والنهاية ٥٨/٨) . قال الدهسي " شهد اليرموك . دعت عينه في غزوة الثبوة " (تاريخ الإسلام ٢٧٦/٢) .

..... إطلالة نور على بحائع الرصور

على من استشهد فى هذا الفتح من الصحابةؓ وكان فتح الإسكندرية عنوة بغير عهد ولا صلح .

وكان معنى كتاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطابؓ: " أما بعد فإنى فتحت مدينة الإسكندرية ، وهى مدينة لا أقدر أن أصف لك ما فيها ، وهى ثلاث مدائن بعضها فوق بعض تختلف بالأبصار من شدة بياض حيطانها ، وفيها من الأعمدة الرخام ما لا يحصى عددهم .

وبها منار فى وسط البحر طوله نحو أربعمائة ذراع ، وفى أعلاه مرآة مسلسلة على بلاد الفرنج ، ينظر الرأى فيها ما يحدث فى بلاد الفرنج ، ومن يقصد المدينة من العدو فى المراكب فيخبر بذلك أهل المدينة قبل وصول المراكب إليها بأيام فيستعدوا لذلك ، وهذا المنار من جملة عجائب الدنيا ليس فى سائر الدنيا أعجوبة تشاكله.

وبها عمود يقال له عمود السوارى ارتفاعه سبعون ذراعاً وقطره خمسة أذرع وله قاعدتان طول كل واحدة اثنا عشر ذراعاً ، ووجدت بالمدينة أربعة آلاف دار محكمة البناء مفروشة بالرخام الملون وفى كل دار منها حمام تختص بها، ووجدت بها أربعمائة ملهى يرسم الملوك ، ووجدت بها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر من بعد العصر إلى العشاء .

..... إحققة نور على بطائح الاصور

ووجدت بها مائة ألف مركب من مراكب الروم الكبار ، ووجدت بها أربعين ألف يهودى وجبت عليهم الجزية^(١)، ومن الروم والقبط ستمائة ألف إنسان سوى النساء والصبيان، ووجدت على هذه المدينة ثلاثة أسوار مانعة ، فأعان الله تعالى وفتحت هذه المدينة على أيدي المسلمين .

1 - قال ابن لبيبة : جى عمرو بن العاص جزية الإسكندرية بمقلقة ألف دينار لأنه وجد ثلاثمئة ألف من أهل النعمة ، فخرّب على كل رأس دينارين دينارين ، وفرض على قبط مصر البانغين سوى الشيخ الفاتى دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف رجل . (فضائل مصر وأخبارها ص ٨٩) .
ويشكك بنظر في الحد المذكور بقوله : " نرى أن هذه الأعداد فيها مبالغة ، ومع ذلك فبها تدل دلالة واضحة على ما كان للمدينة من الأثر العظيم في نفوس الفاتحين " . (فتح العرب لمصر ص ٣١٩) .
" إننا كانت مصر كلها بعد فتح العرب لها تدفع للفتحين جزية عن الرأس بدينارين ، وخراج يقدر بما يتوسع فيه لتفرد من الأرض والروع ، فإن أهل الإسكندرية كانوا يؤدون الخراج والجزية " على قدر ما يرى وإيهم " لأن الإسكندرية قصت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا نعمة " . (غزوات أوروبا على الشواطئ المصرية ص ١٠) .

ولاية عمرو بن العاص على مصر

فلما جرى ذلك أرسل أمير المؤمنين عمر إلى عمرو بن العاص تقليداً بولاية مصر على يدى معاوية بن خديج ، فكان عمرو بن العاص أول من تولى على مصر فى مبتدأ الإسلام^(١) وهو أول أمرائها .

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص كتاباً يقول له فيه : " من كان من القبط والروم فى أيديكم فخيروه بين الإسلام ودينه ، فإن أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وإن اختار دينه فأبقوه على دينه وقرروا عليه فى كل سنة دينارين " .

قال ابن عبد الحكم : لما فتح عمرو بن العاص الحصن وهو المسمى الآن قصر الشمع فكان فسطاطه^(٢) قبالة الحصن ، فلما أراد التوجه إلى الإسكندرية أمر بنزع الفسطاط من ذلك المكان ، فلما أرادوا ذلك وجدوا عليه عش يمامة قد باضت به وأفرخت فقال عمرو : " أتركوا الفسطاط على حاله احترماً لليمامة التى عششت عليه " .

1- تولى عمرو بن العاص على مصر مرتين ، وهذه هى المرة الأولى وظل بها أربع سنوات ، أما الثانية فكلت زمن معاوية بن ابي سفيان فى سنة ثمان وثلاثين .

2- الفسطاط : بيت من الشجر والجمع فساطيط والفسطاط بالوجهين أيضاً مدينة مصر قديماً ، وبعضهم يقول كل مدينة جامعة فسطاط . (المصباح العنبر ٦٤٧/٢) .

وقال الإصطخرى فى وصفها : " الفسطاط على غاية العمارة والخصب ، وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب إليهم محالها ، ومعظم بناتهم بالطوب طبقات ، وأكثر السبل بها غير مسكونة ، وربما بلغت طبقات الدار الواحدة ثمانى طبقات " . (المسالك والممالك ص ٣٩) .

" كانت من أهم مراكز مصر التجارية لموقعها على النول ، فضلاً عن توسطها بين الوجهين القبلى والبحرى ، وكان يخرج منها قوافل تجارية إلى الحجاز وبلاد الشام والمغرب ، لذلك كانت أسواق الفسطاط عامرة بالبضائع والمنتجات على اختلاف أنواعها " . (المعنى العربية الإسلامية ص ٧٤) .

..... إطفالة نور على بدائع الزمور

فلما فتح الإسكندرية وأراد التوجه إلى الحصن^(١) فقالوا له: " أين ينزل

العسكر " ؟

قال : " مكان الفسطاط " . يعنى الخيمة التى تركها هناك ، فلما بنى هناك

المدينة فسميت بمدينة الفسطاط بسبب ذلك .

قال ابن عبد الحكم : لما رجع عمرو بن العاص من الإسكندرية شرع فى بناء

مدينة تجاه قصر الشمع ، وكان هذا الموضع يعرف بدار الحصار فأنشأ هناك دار

يحكم فيها بين الناس وسماها مدينة الفسطاط ، فصارت دار الملكة وهى أول

مدينة بنيت فى الإسلام ، وصارت تتزايد فى العمارة من مبتدأ الإسلام إلى أن أنشأ

المعز القاهرة . فتلاشى أمر مدينة الفسطاط .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : أول مدينة عرف اسمها بأرض مصر مدينة

أمسوس ، وكانت غربى الأهرام يسكنها ملوك الجبابة ، فلما جاء الطوفان محا

رسمها ونسى اسمها ، ثم بعد الطوفان بنيت مدينة منف ، وصارت دار الملكة

يسكنها الفراعنة . وآخر من سكنها من الفراعنة فرعون موسى عليه السلام إلى أن خربها

بخت نصر ، ثم صارت دار الملكة الإسكندرية . وسكن بها القبط وآخر من سكنها

من القبط جريج المعروف بالمقوقس ، وكان يصيف بمصر ويشقى بالإسكندرية ، فلما

جاءت دولة الإسلام وفتحت مصر فأنشأ عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط

١- قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب ، أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناتها مفروغا منها همّ أن يسكنها وقال : مساكن كد كفيئناها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأفنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النيل ، فكتب عمر إلى عمرو بنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الضطاط . (فتوح مصر والمغرب ١/ ١٢٢-١٢٣) .

..... إطللة نور على بحائع الزمور

وصارت دار المملكة إلى أن جاء الأمير أحمد بن طولون ، فأنشأ مدينة وسماها القطائع وصارت دار المملكة ، إلى أن جاء جوهر القائد من الغرب وأنشأ للمعز القاهرة فصارت دار المملكة . فلما زالت دولة الفاطميين وجاءت دولة الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وبنى سور القاهرة ، فصارت قلعة الجبل دار المملكة بمصر إلى يومنا هذا^(١).

قال العقيلي في مدينة الفسطاط :

أحن إلى الفسطاط شوقاً وإننى لأدعولها أن لا يخل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنايها وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروساً والمقطم تاجها ومن نيلها عقد بها انتظم الدرّ

قال ابن عبد الحكم : لما استقر عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط استقضى قاضياً يحكم بين الناس فكان أول قاض قضى بمصر في الإسلام ، عثمان بن قيس ابن أبي العاص السهمي^(٢) تولى بإذن عمر بن الخطاب .

1- إى إلى أيام ابن عباس .
2 - عثمان بن قيس : قال ابن حجر في " رفع الإصر عن قضاة مصر " : ومات عمر بن الخطاب ، فآثره عثمان على الفناء طوال حلالته ، وكان فصيحاً عبداً مجتهداً عزيز النعمة ، يقضى وهو يبكى ، ويقول ويل لمن حكم فنجار .

سنة إحدى وعشرين من الهجرة

فيها أرسل عمرو بن العاص المقداد بن الأسود رضي إلى مدينة دمياط فحاصر أهلها بمن معه من العساكر حتى فتحها^(١) ، وكان بها شخص من القبط يقال له الهاموك - وكان خال المقوقس - وكان لاهاموك ولد يسمى شطا ، فأسلم وأتى إلى المقداد بن الأسود ودله على مكان دخل منه إلى المدينة حتى ملكها ، ومات شطا في المعركة ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وعشرين ودفن خارج دمياط^(٢) .

أخبار المقوقس بعد فتح الإسكندرية

قال ابن لهيعة : لما فتحت الإسكندرية كان المقوقس بها فأرسل يطلب الأمان من عمرو ، فأرسل له أماناً وصار المقوقس يزن الجزية عنه وعن أولاده وعباله ، وحضر مجالس عمرو بن العاص فقال له عمرو يوماً : " يا مقوقس لقد وليت على مصر إحدى وثلاثين سنة ، فأخبرني بما يكون فيه عمارة أراضى مصر " .

- 1 - أورد البلازى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن الجيشاني قال : سمعت جماعة ممن شهد فتح مصر يخبرون أن عمرو بن العاص لما فتح القضاط وجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى عين شمس فطلب طي أرضها ، وصالح أهل فراها على مثل حكم القضاط ، ووجه خارجة بن حذافة العدوي إلى القيوم والأشمونين وأخميم والمشروعات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك ، ووجه عمير بن وهب الجمحي إلى تبتيس ودمياط وتونه ودميرة وشطا ودقهلة وبها وبوصير ففعل مثل ذلك ، ووجه عقبة بن عامر الهنبي - يقال : وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر - إلى سائر أسنل الأرض ، ففعل مثل ذلك ، فاجتمع عمرو بن العاص فتح مصر ، فعملت أرضها أرض حراج . (فتوح البلدان ص ص ٢٢٩ - ٢٤٠) .
- 2 - شطا بن الهاموك : تقدم الحديث عنه في " أعمال البلاد المصرية وكرها في الحديث عن دمياط ص ٣٠ . وانظر ايضاً (الحفظ المقريرية ١ / ٢٢٦)

..... إطلقة نور على بطائع الأمور

فقال له المقوقس : " إنى رأيت الذى يقوم بعمارة أراضى مصر حفر خلجانها ، وإصلاح جسورها ، وسد ترعها ، ولا يؤخذ خراجها إلا من غلالها ، ويحجر على عمالها من المظل ، ويمنعهم من أخذ الرشء ، وترفع عن أهلها المعاون والهدايا ، ليكون ذلك قوة للمزارعين على وزن الخراج^(١) ."

قال ابن عساكر فى تاريخه عن سفيان بن وهب الخولانى قال : بينما نحن نسير فى فضاء مصر مع عمرو بن العاص وكان المقوقس راكباً معه ، فالتفت إليه عمرو ، وقال له : " يا مقوقس ما بال جبلكم أقرع ، ليس به نبات ولا شجر كجبال الشام ؟ "

فقال المقوقس : " ما أدرى ، ولكن أغنى الله تعالى أهل مصر بهذا النيل بما يزرعون عليه ، ولكننا نجد فى كتبنا ما هو خير من ذلك " . قال : " ما هو ؟ "

قال : " ليدفن تحته قوم يبعثهم الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليهم " .

فقال عمرو : " اللهم اجعلنى منهم " .

1 - الخراج : هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها ، والخراج فى لغة العرب اسم للكرء والغلة .
(الأحكام السلطانية ص ١٤٦) .

" كان الخراج يتدر على حسب مساحة الأرض الزراعية ومدى جودتها وغلثها ونوعية المحصول ، وقد أمر عمر بن الخطاب بالألا يكلف أهل الخراج فوق طاقتهم ، وكان الخراج يؤدى إما نقداً وإما حصة من المحصول الزراعى ، ويشرف على تنظيم جباية الخراج " ديوان الخراج " وعلى صاحب هذا الديوان تحديد مقدار الخراج على كل مزارع وإعفاء من يستحق الإعفاء ، وكان الخلقاء يختارون شخصاً له دراية كاملة بأمور الأرض والزراعة والرعى والتجارة " . (المعنىة العربية الإسلامية ص ٧٧) .

..... إطلالة نور على بخائع الزمور

قال ابن لهيعة : قُبِرَ تحت جبل المقطم من أعيان الصحابة خمسة ، وهم :
عقبة بن عامر الجهني ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وعبد الله بن الحارث
الزبيدي ، وأبو بصرة الغفاري وعمرو بن العاص ،^(١) أجمعين .
قال ابن عبد الحكم : واستمر المقوقس مقيماً بالكنيسة المعلقة حتى هلك في
أيام عمرو بن العاص . وكان عمرو يكرمه ويقبل شفاعته في الأقباط ، وكان
المقوقس يحضر إلى عمرو إذا كانت له حاجة فيقضيها له .

- 1- أ- عقبة بن عامر الجيني : ذكره الذهبي في وفيات سنة ثمان وخمسين ، " صحفى مشهور ولى إمرة مصر
لمعاوية ، ولها بعد عقبة بن أبي سفيان ، ثم عزله معاوية واغراه البحر في سنة سبع وأربعين " . (تاريخ الإسلام
٣٦٥/٢)
- ب - عبد الله بن حذافة السهمي : تولى في خلافة عثمان بن عفان ، ذكر ذلك ابن الأثير في " أمد الغاية " .
وذكره الذهبي " أبو حذافة من المهاجرين الأولين هاجر مع أخيه قيس إلى الحبشة ، وكان رسول الله ﷺ بعثه إلى
كسرى ، وقد أسره الروم زمن عمر ، فأرأوه على الكفر فأبى عليهم ، فقتل له ملكهم : قبل رأسى حتى اطلقك
ومن معك ، ففعل فأطلقه وثماتين أسيراً ، فلما قدم قال له عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك ، وأنا أبدا
فقام فقبل رأسه " . (تاريخ الإسلام ١٣٨/٢ - ١٣٩) .
- ج- عبد الله بن الحارث : توفى في أيام معاوية في آخرها . (المرجع السابق ٣٦٢/٢) .
- د- أبو بصرة الغفاري : ذكره الذهبي باسم حُميل بن بصرة ، شهد فتح مصر وسكنها وبها توفى . (المرجع السابق
٣٨٨/٢) .
- هـ عمرو بن العاص : " أسلم في المدينة وهاجر واستعمله رسول الله ﷺ على جيش غزوة ذات السلاسل وفيه
أبو بكر وعمر لخبرته بمكة الحرب ، ثم ولى الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ، ثم افتتح مصر ووليها
لعمر .
- قال ابن عبد البر : أسلم عمرو بن العاص في صفر سنة ثمان ، وأمره النبي ﷺ على سرية نحو الشام في جمادى
الأخرة سنة ثمان فيما ذكره الواقدي إلى السلاسل ، ثم أمده النبي ﷺ بمائتي فارس فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
إلى أن قال . ثم ولى مصر لمعاوية ومات بها يوم القطر سنة ثلاث وأربعين على الأصح ، فصلى ابنه عليه ثم رجع
فصلى الناس صلاة العيد ، ثم ولى مصر بعده عقبة أخو معاوية فبقي سنة ومات فولى مصر مسلمة بن مخلد .
(المرجع السابق ٢٩٦/٢) .

سنة اثنين وعشرين من الهجرة

فيها شرع عمرو بن العاص في بناء جامعة الكبير الذي بالقرب من قصر الشمع بمصر العتيقة.

قال الليث بن سعد: " لما فرغ عمرو بن العاص من بناء مدينة الفسطاط شرع في بناء الجامع المعروف به ^(١) ، وهو أول جامع بنى في الإسلام بمصر، وكان مكان أرضه أشجار وبساتين فمحا ذلك وبنى هذا الجامع .

قال ابن فضل الله في " المسالك " : لما وضع عمرو قبلة هذا الجامع كان واقفاً عليه نحو ثمانين رجلاً من الصحابة ^(٢) ، فلما اتخذ المنبر جعله عالياً فكتب إليه عمر ابن الخطاب ؓ : " بلغني أنك قد اتخذت منبراً عالياً ترقى به على رقاب المسلمين فعزمت عليك ألا ما كسرته " ^(٣) .

قال ابن عبد الحكم : لما بنى عمرو هذا الجامع جعل إلى جانبه داراً وسماها دار أمير المؤمنين .

- 1- جامع عمرو بن العاص : يقال له تاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس ديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح . (الخطط المقرئية ٢٤٦/٤).
- 2- قال الكندي ، قال يزيد بن أبي حبيب سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون : وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم الزبير بن العوام ، والمقداد ، وعبادة بن الصامت ، وفضالة بن عبيد ، وعتبة بن عامر . (الخطط المقرئية ٢٤٦/٤ - ٢٤٧) .
- 3 - قال ابن عبد الحكم : " حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد ، أن عمرو بنى المسجد ، وكان ما حوله حدائق وأغابا ، فصبروا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم ، ثم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة ، وأن عمراً وأصحاب رسول الله ﷺ الذين وضعوها ، واتخذ فيه منبراً ، فكتب إليه عمر بن الخطاب ، أما بعد ، فبه بلقي أنك اتحدثت منبراً ترقى به على المسلمين ، أو ما بحسبك أن تقوم قائماً ، والمسلمون تحت عتيك ، فعزمت عليك لما كسرته " . (فتوح مصر والمغرب ١ / ١٢٢ - ١٢٤) .

..... إحتلاله نور على بطائح الرصور

فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك كتب إلى عمرو وهو يقول له : " بلغنى أنك بنيت لى دار، وإنى لرجل بالحجاز ، أفيكون لى دار بمصر ، فعزمت عليك بالله ألا ما جصتها سوقاً للمسلمين " ، فامتثل عمرو ذلك وجعلها سوقاً^(١).

قال ابن عبد الحكم : لما ولى مسلمة بن مخلد الأنصارى على مصر زاد فى بناء هذا الجامع وبنى به المنار، فلما ولى عبد العزيز بن مروان هدم هذا الجامع ووسعه ، فلما ولى قرة بن شريك العبسى هدمه وبناه وزخرفه وذهب رؤوس العمود التى به ، وجعل فيه محراباً مجوفاً ، وهو أول من أحدث المحراب المجوف ، فلما ولى عبد الله ابن طاهر زاد فى عرضه بإذن المأمون وأدخل فيه الدور التى حوله^(٢).

فلما كان أيام خماروية بن أحمد بن طولون احترق هذا الجامع كله ، وذلك سنة خمس وسبعين ومائتين ، فاستمر على ذلك إلى أيام الفاطميين فبناه الحاكم بأمر الله ، ولما قدم الإمام الشافعى إلى مصر جلس فيه لتدريس العلم وفى الجملة إنه جامع مبارك لا يخلو من ولى صالح قط .

1 - قال ابن نوية : هى دار البركة ، فجعلت سوقاً . (فتوح مصر والمغرب ١ / ١٣٤) .
2 - انظر ما الحق بالمسجد من زيادات وتوسعات من أيام ولاية مسلمة بن مخلد، ومن تبعه من الأمراء . (الخطط المقريرية ٤ / ٢٤٦ ويدها) .

سنة ثلاث وعشرين

ففيها جاءت جماعة من الأقباط إلى عمرو بن العاص وقالوا له: " أيها الأمير إن لنيلنا سنة في كل سنة لا يجرى إلا بها". فقال لهم: " وما هي ؟".
قالوا: " إذا كان إثننا عشرة ليلة تخلو من بؤونة -من الشهور القبطية- عمدنا إلى جارية بكر وأخذناها من أبويها غصباً ، وجعلنا عليها الحلّى والحلل ، ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم عندنا".

فلما سمع عمرو بذلك قال: " هذا لا يكون في الإسلام أبداً " ، فأقاموا أهل مصر بؤونة وأيبب ومسرى وتوت لم يجر فيها النيل لا كثيراً ولا قليلاً ، فلما عاينوا أهل مصر ذلك هموا الخلاء منها ، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتاباً وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما وصل إليه وعلم ما فيه كتب بطاقة ، وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في بحر النيل ، فلما وصلت إليه البطاقة فتحها وقرأ ما فيها فإذا فيها مكتوب : "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ^(١).

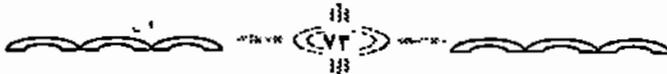
1- عن قصة هذه البطاقة انظر (البداية والنهاية ٩٥/٧) .
ويروى أنه وقع مثل ذلك في زمن موسى عليه السلام ، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فرغبوا إلى موسى ، فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا ، فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الليلة مئة عشر ذراعاً . (صبح الأضنى ٢٩٥/٣) .

..... إطلالة نور على بطائح الزمور

فلما وقف عمرو على البطاقة ألقاها فى النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد ،
وعيد الصليب^(١) سابع عشر توت، فأجرى الله تعالى النيل فى تلك الليلة ستة عشر
ذراعاً فى دفعة واحدة ، وقد تهبأ أهل مصر للخلاء منها ، لأن النيل هو عمارة مصر،
فلما عابنوا أهل مصر ذلك فرحوا بإبطال تلك السنة السيئة عنهم ، وذلك ببركة أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ .

وفىها- أعنى سنة ثلاث وعشرين- توفى أبو مالك الأشعري واسمه كعب بن
عاصم^(٢) شهد فتح مصر ، وكان من مشاهير الصحابة ؓ .
وفىها توجه عمرو بن العاص إلى المدينة الشريفة ليزور أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب ، فزاره ورجع إلى مدينة الفسطاط .

1- انظر أعياد أخرى كالغطاس والنيروز .. (صبح الأعي ١٥/٢ - ٤٢٥).
2- أبو مالك الأشعري : ذكره الذهبى فى وفيات سنة ثمانى عشرة " اسمه كعب بن عاصم ، وقيل عمرو ، وقيل
عامر بن الحارث ، توفى فى خلافة عمر " . (تاريخ الإسلام ٧٦/٢).



سنة أربع وعشرين

فيها جاءت الأخبار بوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(١) - رحمه الله عليه - فحزن عليه عمرو بن العاص حزناً شديداً وجلس للعزاء ، عاش أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنوات .

سنة خمس وعشرين

فيها عزل الإمام عثمان بن عفان^(٢) عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، وولى عبد الله بن أبي سرح على مصر ، فكانت مدة ولاية عمرو بن العاص على مصر هذه المرة نحو ست سنين إلا شهراً وسيعود إلى ولاية بمصر ثانياً . وهو أول من جبي خراج مصرفي الإسلام ، وقد بلغ خراج مصرفي أيامه اثني عشر ألف ألف دينار^(٣) .

1- عمر بن الخطاب^(٢) : عن عمر بن الخطاب^(٢) قال : ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين ، وأسلمت وأنا ابن ست وعشرين سنة . (منابع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ٤) .
استشهد في أواخر ذي الحجة "سنة ثلاث وعشرين" ، وأسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، عن ابن عمر أن النبي^(ﷺ) قال : " اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب " . (تاريخ الإسلام ٩٩/٢) .
قال الواقدي : عن ابن المسيب قال : أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة ، فلما أسلم ظهر الإسلام بمكة " . (المرجع السابق ٨٠/١) .

" كانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة " . (منابع أمير المؤمنين ص ٢٥٥) .
تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبو بكر الصديق^(٣) ، وفي عهده انتشر الإسلام بعدما فتحت بلاد كثيرة ، وكان عصره من أزهى العصور في تاريخ الإسلام بعطلة وحزمه .

2 - بلغ خراج مصر في أول سنة فتحها عمرو بن العاص " عشرة آلاف ألف دينار ، وكتب إليه عمر بن الخطاب بعجز رأيه ويقول : جيبت للروم عشرين ألف دينار ، فلما كان العام المقبل جباها اثني عشر ألف دينار ، فلما عزل عثمان^(٤) منها وولى عبد الله بن أبي سرح ، زاد على القبط في الخراج والمؤن ، فبلغت أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال عثمان لعمر : نرت اللقحة ، فقال عمرو : وأصررتم بالفصيل " . (فضائل مصر المحروسة ص ٣٦) .

ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح

قبيل كان اسمه حسام وقيل عويف . قال الكندي : كان عبد الله هذا أخا الإمام عثمان بن عفان من الرضاع ، وكان من جملة كتبة الوحي . أسلم قديماً ثم افتتن ، وخرج من المدينة إلى مكة ، فارتد إلى دينه ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ، فأهدر دمه .

فجاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ وقال : " إنه أخى من الرضاع " فاستأمن له ، فأمنه رسول الله ﷺ وسأل له المبايعة ثانياً ، فبايعه رسول الله ﷺ ثانياً ، وقال : " الإسلام يهدم ما كان قبله " .

فلما ولي الإمام عثمان الخلافة ، ولي عبد الله بن أبي سرح على مصر . فلما ولي أظهر له نتيجة فى خراج مصر وأورد أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال عثمان بن عفان : " لعمر بن العاص : " درت اللقحة بعدك يا أبا عبد الله بأكثر من درها الأول " .

فقال عمرو : " نعم ولكن أجاعت أولادها " .

وإن هذه الزيارة التى أخذها عبد الله بن أبي سرح ، إنما هى على الجماجم ، فإنه أخذ على كل رأس ديناراً خارجاً عن الخراج ، فحصل لأهل مصر بسبب ذلك الضرر الشامل ، وكانت هذه أول شدة وقعت لأهل مصر فى مبتدأ الإسلام . وفى أيامه توفى قاضى مصر عثمان بن قيس بن أبي العاص^(١) .

1 - عثمان بن قيس : تقدمت ترجمته ص ٦٦

فولى بعده بمصر القاضى أبو خزيمه ، واستمر قاضياً بمصر حتى توفى سنة أربع وخمسين من الهجرة .

وفى أيامه توفى المقداد بن الأسود رحمه وليس الأسود أباه وإنما تبناه الأسود ابن عبد يغوث وهو صغير فُعرف به ، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندى . وكان المقداد ممن شهد فتح مصر وفتح دمياط ، ثم توجه إلى المدينة الشريفة . فمات بها سنة ثلاث وثلاثين رحمة الله عليه^(١) .

وفى أيامه سنة ثلاثين توفى حاطب بن أبى بلتعة^(٢) دخل مصر رسولاً إلى المقوقس ، وعاش خمس وستين سنة . وكان من مشاهير الصحابة . وتوفى فى أيامه من الصحابة أيضاً شرحبيل بن حبيب ، شهد فتح مصر ومات سنة ثمان وعشرين ، وكان اسم أبيه مطاع الكندى وتوفى بالشام^(٣) .

-
- 1 - المقداد بن الأسود . تضمنت ترجمته ص ٥٢ .
- 2- حاطب بن أبى بلتعة . ذكره ابن كثير فى وفيات سنة ثنتين من الهجرة : " حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير اللخمي حليف نبي أسد بن عبد العزى ، شهد بدرًا وما بعدها ، وهو الذى كان كتب إلى الشركين يطمهم بحزم رسول الله ﷺ على فتح مكة ، فعنزه رسول الله ﷺ بما اعتنق به ثم حُجّه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الإسكندرية " . (البداية والنهاية ١٤٧/٧ - ١٤٨) .
- " من مشاهير المهاجرين شهد بدرًا والمشاهد ، وكان تاجراً فى الطعام ، له عبيد وكان من الرماة الموصوفين ، مات سنة ثلاثين " . (سير أعلام النبلاء ٤٢/٢ - ٤٥)
- 3- شرحبيل بن حبيب . أورده ابن الأثير فى " سد العابة " ، زوج الشفاء بنت عبد الله ، له ذكر فى حديث رواه الأوراعى ، عن الزهرى ، عن أنس سلمة ، عن الشفاء بنت عبد الله .
- ولم يذكر ابن الأثير نسب شرحبيل بن حبيب إلى مطاع الكندى ، أو سنة وولده . أما الذى ينتمى إلى مطاع الكندي فهو شرحبيل بن حسنة وقد أورده ابن سعد فى " الطبقات " و " الذهبى فى " تاريخ الإسلام " وابن الأثير فى " أسد الغابة " وابن كثير فى " البداية والنهاية " باسم شرحبيل بن حسنة فى وفيات سنة ثمانى عشرة من الهجرة " كان أحد الأمراء الأربعة الذين أمرهم أبو بكر الصديق " . (تاريخ الإسلام ٧٥/٢) .
- " مات فى طاعون عمواس سنة ثمان عشرة ... " . (المعرف لابن قتيبة ص ٢٢٥) .
- قال ابن كثير : أحد أمراء الأرباع وهو أمير فلسطين وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندي حليف بنى زهرة وحسنة أمه نسب إليها وطلب عليه ذلك ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وجيزه الصديق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الحيش وكذلك فى الدولة العمريّة ، وطعن هو وأبو عسيبة وأبو مالك الأشعري فى يوم واحد سنة ثمانى عشرة " (البداية والنهاية ٨٩/٧) . وانظر (الطبقات الكبير ١١٩ /٤) .

ذات الصواري

ومن الحوادث في أيام عبد الله بن أبي سرح ، قال ابن لهيعة: لما كانت سنة خمس وثلاثين مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل ، وقالوا له : " أتترك الإسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى " ، فجمع قسطنطين العساكر وأشحن منهم ألف مركب ^(١) ، وقصد التوجه إلى الإسكندرية فبينما هو في وسط البحر بعث الله تعالى عليهم ريحاً عاصفاً فغرق تلك المراكب عن آخرهم ^(٢) .

وأما قسطنطين بن هرقل فإن الريح ألقته بصقلية فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم بأمر الريح وتغريق المراكب بالجيوش فقالوا له أهل صقلية : " أفنيت النصرانية وأغرقت رجالها فلو أن العرب دخلت علينا لم نجد من يردهم ، ثم إنهم قتلوا قسطنطين وكفى الله المؤمنين القتال .

كما قيل في المعنى :

إن عقل الفرنج عقل خفيف حيث راموا قتالنا والفرالا
أخذوا بغتة بغير قتال وكفى الله المؤمنين القتالا

1 - أورد ابن عبد الحكم من حديث التليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب قوله : ومراكب المسلمين يومئذ ماتت مركب ونيف ، فقال لهم عبد الله بن سعد : أتثروا على ، وعادها ثلاث مرات ، ثم قام رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول : ﴿لَا حَكْمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة ٢٤٩) .

فقال عبد الله : اركبوا باسم الله ، فركبوا ، وإنما في كل مركب نصف شحته. انظر (فتوح مصر والمغرب ٢٥٦ / ١) .

2 - " سار في أيام غالبية من الريح ، فبعث الله عليهم ريحاً ، فغرقهم إلا قسطنطين نجا بمركبه فالتصه الريح بصقلية .. " انظر (المرجع السابق ٢٥٥ / ١ - ٢٥٨) .

" هزم الله الروم ، وإنما سميت غزوة ذات الصواري لكثرة صواري المركب . " (الخطط المغرزية ٢٢٩ / ٢) .